عنوان الملتقى:

الحدث التاريخي ودوروه في تشكل آراء الكلامية

تاريخ الملتقى: 14 نوفمبر 2023م

عنوان البحث:

المصادر الخارجية لعلم الكلام الهاجادية واللاهوتية بين جدل التأثير والتأثر

-مقاربة نقدية-

الجهة المنظمة:

كلية أصول الدين-جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة-

الاسم واللقب: آسيا شكيرب

الرتبة: أستاذ التعليم العالي

مؤسسة الانتماء: جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية-قسنطينة

كلية أصول الدين

قسم العقيدة ومقارنة الأديان

البريد الالكتروني: cheki4@yahoo.fr

الأستاذ الدكتور آسيا شكيرب؛ جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة.

ملخص باللغة العربية:

يتناول بحثنا هذا مسألة أصالة علم الكلام الإسلامي ومباحثه المختلفة، من خلال بحث احتمالية تأثره بالفكر الهاجادي اليهودي وعلم اللاهوت المسحي؛ وهي الفرضية التي أثارتها العديد من المصادر الاستشراقية؛ وبتجاوز العوامل الداخلية لنشأة علم الكلام، توصلنا إلى كونه قد أُثري نتيجة الجدل الإسلامي اليهودي والمسيحي؛ إلى أن وصل لمرحلة النضج فأثرى بدوره علم الكلام اليهودي واللاهوت المسيحي؛ فكان المصدر الملهم لبعث الحركية الفكرية في إطارها العقدي.

ملخص باللغة الانجليزية:

Our research deals with the issue of the authenticity of Islamic theology and its various investigations, by examining the possibility that it was influenced by Jewish Haggadi thought and Christian theology, a hypothesis raised by many orientalist sources, and by overcoming the internal factors of the emergence of theology, we concluded that it was enriched as a result of the Islamic-Jewish and Christian controversy, until it reached maturity and in turn enriched Jewish theology and Christian theology, which was the inspiring source for the revival of intellectual movement in its doctrinal framework.

مقدمة:

كثر الجدل والنقاش حول أصالة علم الكلام الإسلامي، مثله مثل باقي العلوم الإسلامية كالفلسفة والتصوف، والتي كثيرا ما تُعزى لعوامل داخلية وخارجية.

يتمسك بعض الباحثين الغربيين بفرضية نشوء علم الكلام نتيجة تأثر الإسلام بالتراث الفكري لمختلف الأديان الموجودة في البيئة العربية، وعلى رأسها التراث الهاجادي اليهودي، وعلم اللاهوت المسيحي.

فإلى أي مدى يمكننا الكلام عن تأثر علم الكلام الإسلامي بالفكر الهاجادي اليهودي وعلم اللاهوت المسحي؟

نحاول الإجابة عن هذه الإشكالية، باستقراء التاريخ التطوري العقدي للديانتين اليهودية والمسيحية في تقاطعه مع علم الكلام الإسلامي؛ وهذا من خلال مناقشة مختلف الفرضيات التي المثارة من قبل بعض المستشرقين والباحثين الغربيين.

1. التواجد اليهودي والمسيحي في مكة:

اختلف الباحثون حول اللحظات التاريخية الأولى للاتصال اليهودي بمكة، فيرى دوزي في كتابه بني إسرائيل في مكة، أن الهجرة الشمعونية حدثت قبيل عصر الملك داوود حوالي عام 1000 ق.م، ويعارضه المستشرق مرجليوث في كتابه عن علاقة العرب بالبطون الإسرائيلية قبل الإسلام، ويقرر أنها لم تحصل إلا في عصر الملك حزقيا الذي جكم بلاد يخوذا من سنة 717-690 ق. م.[1]

يرى ولفنسون أن الكثير من الجموع اليهودية هاجرت في القرن الأول والثاني الميلادي إلى الأرجاء العربية عموما، وإلى الربوع الحجازية بنوع خاص، ويبدو أنه هناك أسباب كثيرة دعت هذه الجموع إلى ترك أوطانها والنزوج منها إلى البلاد العربية[2]، بينما هناك "شهادات من يهود مدينة دمشق وحلب في القرن الثالث بعد الميلاد ينكرون من خلالها وجود يهود الجزيرة العربية ويقولون أن الذين يعتبرون أنفسهم من اليهود في جهات خيبر ليسوا يهودا حقا، إذ لم يحافظوا على الديانة إلهية التوحيدية ولم يخضعوا لقوانين التلمود خضوعا تاما" [3].

---

[1] إسرائيل ولفنسون: **تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام**، (مصر: مطبعة الاعتماد، 1927)، ص3.

[2] المصدر نفسه، ص 8

[3] المصدر نفسه، ص 13.

يذكر نولدكه أن المسيحية كانت منتشرة انتشارا واسعا في شبه الجزيرة العربية بين القبائل المتواجدة على الحدود الفارسية- البيزنطية -كلب وطيء وتنوخ وتغلب وبكر)، وفي داخل تميم، وفي اليمن كانت منذ زمن طويل تحت سيطرة الحبشة المسيحية؛ وكان بعض مشاهير شعراء القرن الذي سبق ظهور الإسلام يشي تفكيرهم بأنهم يلمون بالمسيحية، رغم محافظتهم على وثنيتهم[4].

2. شبهة المصدر الهاجادي لعلم الكلام بين جدل التأثير والتأثر:

- **الدرس العقدي اليهودي:**

إن أول من قام بمحاولة صياغة العقائد اليهودية وفق نسق فلسفي هو فيلون الاسكندري، الذي أبان عن تأثره الشديد بالفلسفة اليونانية، إذ وضع خمسة أركان للعقيدة اليهودية، هي:

أن الله موجود، وهو الحاكم

أن الله واحد

أن العالم مخلوق

أن الخلق واحد

أن عناية الله تحكم الخلق

الملاحظ أن محاولة فيلون لم تجد صداها لدى جيلين مهمين من أجيال التلمود، وهم التنائيم والأمورائيم، واضعوا وشرّاح المشناه، لهذا نلاحظ خلو التلمود من تقرير العقائد بهذه الصورة، وإن كان كثير منهم جروا إلى نزاعات ومناظرات مع بعض اليهود وغير اليهود، الأمر الذي اضطرهم إلى اتخاذ خطوات شديدة للدفاع عن دينهم من هجوم معاصريهم من الفلاسفة وكذلك من النصرانية[5].

لقد كان اهتمام الحاخامات مرتكزا في وضع الهلاخاه وهي التشريعات العملية، وكانت الهجاداه وهي القصص والوعظ والأساطير وغيرها، غير واضحة وغير منظمة ومتصفة بكثير من التناقضات، وهي مصدر العقائد والأسس الإيمانية لدى اليهود[6].

فالهاجاداه הַגָּדָה: من الفعل هجيد، ومعناه الشرح والتعلم، وتحتوي الهاجاداه على قصص تفسيرية وتوضيحية للقصص التناخي ذات طابع رمزي نموذجي، كما تشتمل على التعاليم الخاصة بالله وعلاقته بالعالم والإنسان، إضافة إلى واجبات الإنسان نحو الله ونحو أخيه الإنسان، كما تحتوي الهاجاداه على مختلف المعتقدات الدينية، إضافة إلى بعض التعاليم الخاصة بشعب إسرائيل في علاقته بالشعوب الأخرى؛ وتحتوي أيضا على الكثير من القصص والأساطير والأمثال الشعبية والوعظ

---

[4] تيودور نولدكه: **تاريخ القرآن**، ترجمة: جورج تامر، (نيويورك: جورج آلمز، 2000)، ص 8.

[5] Kaufmann Kohler, Emil G. Hirsch: **ARTICLES OF FAITH," ," Jwish Encyclopedia",** ARTICLES OF FAITH - JewishEncyclopedia.com

[6] Ibid ; op cit

الأخلاقي، والكثير من التصورات الميتافيزيقة، ولا تحتل الهجاداه قداسة الهلاخاه، لهذا سميت " الذي يُقال" وليس "الذي يُسمع" [7].

تهتم الهجادا بشكل خاص بالعقائد اليهودية وقد قال الرابيون القدماء عنها : "إذا كنت تريد أن تعرف من الذي بكلمته جاء العالم إلى الوجود ، فتعلم الهاجادا ، لأنك من خلالها تعرف القدوس ، وتحمد الله، وتتبع طرقه"[8].

يقول جولد تسيهر: " أما المذاهب والقواعد الوضعية الواقعية فكانت ذات طابع انتخابي ... وقد أسهم في تكوين عناصر هذه المذاهب والقواعد الدين اليهودي والدين المسيحي على السواء"[9]

يعتبر بعد المستشرقين أن الهجاداه، هي من أهم الروافد التي أسهمت في بعث المسائل العقدية الإسلامية، ويفترض المستشرقون أن اطلاع محمد صلى الله عليه وسلم والمسلمين من بعده على المعتقدات اليهودية تم عن طريق السماع، فالمستشرق أبراهام غايغ يقول: " تقبع إمكانية الاستعارة من اليهودية لمحمد، جزئيا في المعرفة التي يمكن أن تصل إليه من خلال الوصال مع اليهود، وجزئيا في المعرفة الشخصية بكتابهم المقدس، وفي حين نوافقه على المصدر الأول للمعلومات، يجب أن ننكر الثاني"[10]

يرى كلير تسدل أن محمدا صلى الله عليه وسلم استعار من اليهود الكثير جدا، إلى الحد الذي يمكن فيه وصف ما جاء به بأنه شكل من الهرطقة اليهودية المتأخرة[11]. وأما حنا زكريا، فيرى أن القرآن العربي ما إلا هو صناعة يهودية، وكل ما يحكى عن الوحي وعن نبوة محمد ما هو إلا أكاذيب، [12]

---

[7] Heinrich Joseph Wetzer, Benedict Welte : **Dictionnaire encyclopédique de la théologie catholique**, (Paris : Gaume Freres et J . Duprey, 1870), P 99 .

[8] Isidore Singer, J. Theodor : **"MIDRASH HAGGADAH", Jwish Encyclopedia,** MIDRASH HAGGADAH - JewishEncyclopedia.com

[9] إيجناس جولدتسيهر: العقيدة والشريعة في الإسلام تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الإسلام، ترجمة: محمد يوسف موسى وآخرون، (القاهرة: المركز القومي للترجمة، 2013)، ص24.

[10] أبراهام غايغر: **اليهودية والإسلام**، ترجمة: نبيل فياض، ط1، (بيروت: دار الرافدين، 2018)، ص73.

[11] سان كلير تيسدال: **المصادر الأصلية للقرآن**، ترجمة: عادل جاسم، ط1، (بيروت: منشورات الجمل،2012)، ص49.

يرى نولدكه أن اطلاع النبي محمد صلى الله عليه وسلم على اليهودية والمسيحية " كان جيدا إلى الحد الذي كان ممكنّا في عصره في مكة، وقد اعتمد على هذين الدينين إلى درجة أنه نادرا ما توجد فكرة دينية في القرآن ليست مأخوذة عنهما" [13]؛ ويرى في موضع آخر أن " المصدر الرئيسي للوحي الذي نُزّل على النبي حرفّيا، بحسب إيمان المسلمين البسيط وبحسب اعتقاد القرون الوسطى وبعض المعاصرين، هو بدون شك ما تحمله الكتابات اليهودية"[14] .

يضيف بأنه لا مجال للشك في كون " في أن أهم مصدر استقى منه محمد معارفه لم يكن الكتاب المقدس، بل الكتابات العقائدية والليترجية، هكذا تشبه قصص العهد القديم الموجودة في القرآن صيغتها المتبقية في الهاجاداه، أكثر مما تشبه أشكاله الأولى"[15].

لا شك أن الأطروحات الاستشراقية، تبالغ في إرجاع كل ما هو إسلامي إلى الأصول اليهودية والمسيحية، دون فتح احتمالية المصدر الإلهي المشترك للأديان جميعها؛ وفي الحين نفسه تنفي أصالة العلوم الإسلامية المنبثقة من المصدر القرآني.

يرى النشار أن التأثير الأجنبي لم يظهر بوضوح إلا في المرحلة الثالثة من تاريخ علم الكلام، إذ يقول: "هذا العلم فيما أعتقد هو النتاج الخالص للمسلمين، ومما لا شك فيه أن المتكلمين قد كانوا في وسط فلسفي وأمام هجمات فلسفية من أديان مختلفة، وعقائد فلسفية متعددة ومذاهب شرقية منتشرة في البلاد التي فتحوها -وقد أخذوا منها بعض الأفكار الجزئية، ولكن علم الكلام بقي في جوهره العام حتى القرن الخامس إسلاميا بحتا" [16].

فأولى خطوات التلاقي اليهودي الإسلامي، حين بث اليهود أحاديث التشبيه والتجسيم، وهذا حين ثارت مشكلة " المتشابهات" في القرآن، وأحاديث التشبيه والتجسيم مستمدة من التوراة في معظمها، نشرها اليهود الذين اعتنقوا الإسلام، كما نشروا أحاديث عن أشراط الساعة، والمهدي المنتظر، والمسيخ الدجال، وهكذا كانت نشأة الحشوية عند المسلمين، وأعقبها نشأة المشبهة ثم

---

[12] Hanna Zakarias : **L'Islam, entreprise juive : de Moïse à Mohammed**. Composition et disparition du Coran arabe original et primitif Suivi de Lutte du rabbin de La Mecque contre les idolâtres et les Chrétiens, (paris : Cahors,1955), Tome 2, P62-63.

[13] تيودور نولدكه: **تاريخ القرآن**، ترجمة: جورج تامر، (نيويورك: جورج آلمز، 2000)، ص343.

[14] المصدر نفسه، ص 7.

[15] المصدر نفسه، ص9.

[16] علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ط9، (القاهرة: دار المعارف)، ج1، ص79.

المجسمة، وقد كان للتشبيه والتجسيم مصادر أخرى، كالمسيحية والغنوصة والرواقية، ولكن الأثر اليهودي كان الأكبر[17].

يقول النشار أن بعض المستشرقين اليهود يرون أن كثيرا من العقائد الإسلامية وبخاصة علم الآخرة مأخوذ من التوراة، وقد تبنى المستشرق جولد تسيهر هذه النظرية ومن أهم الأمثلة التي أعطاها لإثبات نظريته فكرة الوجود في عالم الذر، أي فكرة وجود الخلائق في صلب الإنسان الأول على هيئة الذر، وأن الله في هذا العالم أشهد الخلق على أنفسهم، وحاول جولد تسيهر أن يثبت أن تلك الفكرة يهودية بحتة، وأن لها آثارا ومآخذ في التوراة نفسها[18].

في مقابل الآراء السابقة، يعترف بعض اليهود أن تنظيم عقائد الديانة اليهودية تحت مسمى " أركان الإيمان " لم يجد قبولا لدى اليهود قبل ما يسميه اليهود بالعهد العربي، وهم يقصدون به العهد الإسلامي. وقد اضطر اليهود نتيجة الهجومات الفكرية المتواصلة على عقائدهم من قبل الفلاسفة والمتكلمين المسلمين، وحتى بعض اليهود إلى صياغة عقائدهم في صبغة جديدة توائم ما عليه جل التيارات السائدة في ذلك الوقت.

وضع سعديا الجاؤون "أركان الإيمان" في كتابه "كتاب الأمانات والاعتقادات"، ولخصها في تسع نقاط برز فيها تأثره الشديد بمذهب المعتزلة، وهي:

1- أن الإله خلق العالم من العدم .
2- الإيمان بوحدة الإله وعدالته هذا سماه "أحدوث" الوحدانية.
3- حرية الإرادة.
4- الثواب والعقاب.
5- خلود الروح.
6- البعث.
7- خلاص إسرائيل.
8- الخلود في الآخرة.
9- صفات الإله مطابقة لذاته ولا يمكن فصلها

ثم جاء بعد سعديا إبراهيم بن داود الأندلسي فتناول في كتابه "العقيدة الرفيعة" الجواب عن سؤال أحد معاصريه حول مسألة التوفيق بين قدر الله وأفعال العباد، فذكر ما يراه من صميم مبادئ

[17] المرجع نفسه، ج1، ص 70.
[18] المرجع نفسه، ج1، ، ص 70.

العقيدة اليهودية، وهي: وجود الله، وحدانيته، صفاته، أفعاله أو العلاقة بينه وبين نظام العالم، الإيمان بالنبوة، وعنايته تعالى وحرية أفعال العباد .[19]

وقام الفيلسوف المشهور موسى بن ميمون بتصنيف كتابه العقدي: "دلالة الحائرين"، فكتبه باللغة العربية والحروف العبرية، رغبة منه في نشره بين جماهير اليهود في البلاد العربية دون العرب، وقد وضع لليهود ما سمي "الأصول الثلاثة عشر" وجعلها أركان الإيمان[20] :

1- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، هو الموجد والمدبّر لكل المخلوقات. وهو وحده الصانع لكل شيء فيما مضى وفي الوقت الحالي وفيما سيأتي .
2- أنا أؤمن إيماناً بأن الخالق ، تبارك اسمه، واحد لا يشبهه في وحدانيته شيء بأية حال، وهو وحده إلهنا كان منذ الأزل، وهو كائن، وسيكون إلى الأبد .
3- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، ليس جسماً، ولا تحده حدود الجسم، ولا شبيه له على الإطلاق .
4- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن الخالق، تبارك اسمه، هو الأول والآخر .
5- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن الخالق ، تبارك اسمه، هو وحده الجدير بالعبادة، ولا جدير بالعبادة غيره .
6- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن كل كلام الأنبياء حق .
7- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن نبوة سيدنا موسى عليه السلام كانت حقاً ، وأنه كان أباً للأنبياء، من جاء منهم قبله ومن جاء بعده .
8- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن كل التوراة الموجودة الآن بأيدينا هي التي أعطيت لسيدنا موسى عليه السلام .
9- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن هذه التوراة غير قابلة للتغيير ، وأنه لن تكون شريعة أخرى سواها من قِبَل الخالق، تبارك اسمه .
10- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن الخالق ، تبارك اسمه، عالم بكل أعمال بني آدم وأفكارهم ، لقوله : "هو الذي صور قلوبهم جميعاً وهو المدرك لكل أعمالهم" .
11- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بأن الخالق تبارك اسمه ، يجزي الحافظين لوصاياه، ويعاقب المخالفين لها .
12- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بمجيء المسيح، ومهما تأخر فإنني أنتظره كل يوم .
13- أنا أؤمن إيماناً كاملاً بقيامة الموتى ، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق، تبارك اسمه، وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الآبدين[21] .

---

[19] Meyer Waxman, **A History of Jewish Literature**, From the Close of the Canon to the End of the Twelfth Century, (New York, London: Thomas Yoseloff Publisher,1960) vol. 1 p. 344

[20] Waxman, A History of Jewish Literature, vol. 1 p. 348 .

[21] حسن ظاظا: الفكر الديني اليهودي، ص 134-135.

ويبدو واضحا تأثر ابن ميمون بعلم الكلام الإسلامي، فهذه التقريرات هي عبارة عن تبسيط وتوسيع لما ذكره سعديا الجاؤون الفيومي مع إضافات يسيرة، لكن الفرق أن تأثر الأول بالمعتزلة أظهر، أما قواعد موسى بن ميمون فهي أقرب إلى عقائد الأشاعرة الذين عاصرهم [22].

كان القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي مفعما بالتحولات العميقة والنشاطات الفكرية المختلفة، المجاراة التقدم الفكري الطارئ على الآداب الإسلامية. و"يمكننا أن نشهد أن نشوء علم الكلام اليهودي كان وليد انخراط الآداب اليهودية بمحيطاتها الثقافية الناطقة بالعربية. ونتيجة لشيوع اللغة العربية كلغة أم بين اليهود في نشاطاتهم ومصنفاتهم الثقافية والفكرية، ظهر في الأفق عصر يهودي جديد مشبع بالحيوية والنشاطات الدينية والفكرية والثقافية. ومن بين أهم هذه النشاطات نذكر ظهور علم الكلام اليهودي، وهو أول تيار فكري يهودي يسعى إلى صوغ العقيدة اليهودية، استنادًا إلى مفاهيم ومعايير عقلانية جديدة مختلفة عن تلك التي كانت سائدة في ما مضى بينهم وفي آثارهم ومصاحفهم. فقد تأثرت الفرق اليهودية الثلاث المركزية - فرقة الربانيين وفرقة القرائين وفرقة السامريين - بعلم الكلام تأثرا عميقا جدا"[23].

كانت أكاديمية بابل التلمودية مزدهرة تدين بالنص المكتوب وبالنصوص الشفوية، وكانت المدارس التلمودية تسيطر على جمهور اليهود، ولكن الفكر الاعتزالي الإسلامي ما لبث أن نفذ إلى رجال أكاديمية سورات، فظهر أحد أهم علماء اليهود في عهد أبي جعفر المنصور، يبشر بحركة عقلية جديدة، وهو عنان بن داود وأنشأ تيارا شديدا يقابل الربانيين، ألا وهو القراؤون، فدعا إلى استخدام العقل ومبدأ البحث الحر، ولقد اتخذ القراؤون المعتزلة مثالا لهم، واتخذوا اسم " المتكلمين" وسما لهم، حتى أن المسعودي يصف القرائين بأنهم " أهل العدل والتوحيد"[24]

بلغ تأثر اليهود بعلم الكلام الإسلامي، إلى درجة إعادة صياغة العقيدة من جديد، كان التعامل الفكري العقلاني عموما، والفلسفي خصوصا، مع العقيدة الدينية اليهودية غريبًا عن الآداب اليهودية حتى نهاية القرن التاسع للميلاد.

يقول القرائي اليهودي أهرون بن إيليا صراحة "إن القرائين وقسما كبيراً من الربانيين تابعوا مذاهب المعتزلة بل إن كتاب خوزاري اليهودي يذكر و أن ملك الخزر طلب أن يعرض عليه في إيجاز آراء و الأصوليين، القرائين ، وهم أصحاب علم الكلام. ويقول موسى بن ميمون في دلالة الحائرين إن القرائين استعاروا حججهم من المتكلمين المسلمين . وأن الغاية من استعادة هذه الحجج - هي إقامة العقائد الأساسية لليهودية على أساس فلسفى . ويذهب مونك إلى أن المتكلمين المسلمين واليهود – بدءوا يستخدمون المنهج الجدلى الأرسطى – وكان هذا المنهج بدأ يدخل في العالم الإسلامي – لكي يقطعوا به المذاهب الفلسفية للفيلسوف الاستاجيرى . وهذا خطأ ، وسيردده مستشرق يهودي آخر هو

---

[22] المرجع نفسه، ص 138.

[23] حيدر قاسم مطر التميمي: **المستشرقون ومصادر علم الكلام الإسلامي بين التحقيق والنشر والترجمة**، (قطر؛ بيروت : المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2021 .)، ص156

[24] علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص 79-80.

جولدتسيهر. إن متكلمى الإسلام - معتزلة كانوا أو أشاعرة - لم يستخدموا المنهج الجدلى أو المنطق الأرسطاليسي ، بل كان لهم منطق آخر ، أجملت عناصره من قبل في هذا الكتاب وفصلته في كتابي «مناهج البحث عند مفكرى الإسلام"[25]

3. شبهة المصدر اللاهوتي لعلم الكلام بين جدل التأثير والتأثر:

يرى الكثير من الباحثين الغربيين أن المسيحية، وخاصة علم اللاهوت المسيحي كان سببا أساسيا في نشأة علم الكلام الإسلامي، ويرى كل من Bernard Revel برنارد ريفيل، وهاري وولفسون، أن تأثير فيلون الاسكندري، كان تأثيرا غير مباشر في العلماء اليهود اللاحقين، وفي صورة أشد وأكثر مباشرة في فرقة القرائين، ويؤكد وولفسون أن مصنفات فيلون تركت آثارًا كبيرة في نشوء علم الكلام الإسلامي من خلال تأثيرها في اللاهوت المسيحي بداية[26].

نناقش في هذا العنصر من البحث جدل التأثير والتأثر بين علم الكلام الإسلامي واللاهوت المسيحي، فقد بدأ الجدل بين الإسلام والمسيحية في هضبة الحبشة، حول حقيقة المسيح، والكلمة، وفي مسائل تدور حول العقيدة الإسلامية في المسيح، وحين أتى وفد من نصارى نجران إلى المدينة وجادل النبي صلى الله عليه وسلّم، ودعاهم للمباهلة، وصاح القرآن في النصارى " قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين" [27]؛ ثم وصل الإسلام إلى الشام والعراق ومصر وهناك بدأت المسيحية تنازعه نزاعا فكريا شديدا، وهنا بدأ التفكير الفلسفي الحقيقي في الإسلام، إذ بدأ يحدد موضوعاته ومبادئه حول موضوعات الخلاف[28].

تجدر الإشارة إلى أن علم اللاهوت المسيحي واكب ظهور المبحث العقدي المسيحي منذ القرن الأول الميلادي، مع آباء الكنيسة، وأخذ في التطور مع منذ القرن الرابع الميلادي بعد مقررات مجمع نيقية سنة 325 م؛ حيث انبثقت العديد من المسائل العقدية التي استدعت الغوص بحثا وتنقيبا في النصوص الدينية، واشتهرت أهم مدرستين لاهوتيتين، مدرسة الإسكندرية التي تعتمد على المنهج الرمزي في تفسير النص الديني ومدرسة أنطاكيا التي تعتمد على المنهج الحرفي.

مع ظهور الإسلام كانت المدارس اللاهوتية منتشرة في العديد من المناطق خاصة، وكانت اليعقوبية والنسطورية والملكانية منتشرة في البلدان العربية، وكان ليوحنا الدمشقي (680-755م)،

---

[25] المرجع نفسه، ص 80.

[26] حيدر قاسم مطر التميمي: **المستشرقون ومصادر علم الكلام الإسلامي بين التحقيق والنشر والترجمة**، ص 157 .

[27] سورة آل عمران/61.

[28] علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص62.

الذي ينسب له علم اللاهوت النظامي للكنيسة الأرثوذكسية الشرقية[29]، أثر كبير في إثارة بعض المسائر العقدية ضمن ما يسمى الجدل الديني المسيحي الإسلامي، انطبع جدل يوحنا الدمشقي بكونه جدال عنيف مع المسلمين حول وحدة الله وطبيعة الكلمة، فقد اعتبر الإسلام هرطقة مسيحية تقوم على العقيدة الفلسفية، لذلك بدأ يعد العدة لمواجهتها، ويضع أصول الجدل هذه العقيدة، ويبين للمسيحى طريق مناقشة العقائد الإسلامية، وقد عمل يوحنا الدمشقى طبيبا للأمويين، وقد منح الحرية الفكرية الكاملة لمناقشة المسلمين في عقائدهم والدفاع عن المسيحية [30].

تقول أنجيليكي غريغوري زياكا: " وبالجملة فإن إسهام القديس يوحنا الدمشقي وثاودروس في الاتصال الأول بالإسلام أمر مهم ليس بالنسبة للمسيحيين فحسب، بل بالنسبة للمسلمين أيضا، فهؤلاء المدافعون عن الدين المسيحي بنقدهم المنهجي للمعتقدات الإسلامي، جعلوا المتكلمين المسلمين ينهضوا، واضطروهم إلى استلهام منهج الحُجج المنطقية من اللاهوت المسيحي ... وعلى الأخص المنطق الأرسطي كي يعبّروا به عن لاهوتهم الإسلامي (علم الكلام). فالمنطق الأرسطي كان معلوما منذ القرن السادس الميلادي بالنسبة للاهوتي الشرق المسيحي، وقد استخدم يوحنا الدمشقي المنطق والمنهج الأرسطي بمهارة للتعبير عن التعاليم المسيحية، وخاصة منذ نهاية القرن الثامن الميلادي؛ حين بدأ الأدب اليوناني والأرسطي يتوغل بانتظام في الترجمات العربية، بل ويُعقّب عليه بقوة في العالم الإسلامي"[31].

ينتقد علي سامي النشار، فكرة استخدام المتكلمين المسلمين للمنطق الأرسطي، فيقول:" يذهب مونك إلى أن المتكلمين المسلمين واليهود – بدءوا يستخدمون المنهج الجدلى الأرسطى – وكان هذا المنهج بدأ يدخل في العالم الإسلامي – لكي يقطعوا به المذاهب الفلسفية للفيلسوف الاستاجيرى . وهذا خطأ ، وسيردده مستشرق يهودي آخر هو جولدتسيهر . إن متكلمى الإسلام - معتزلة كانوا أو أشاعرة - لم يستخدموا المنهج الجدلى أو المنطق الأرسطاليسي ، بل كان لهم منطق آخر ، أجملت عناصره من قبل في هذا الكتاب وفصلته في كتابي (مناهج البحث عند مفكرى الإسلام"[32]

قاوم المعتزلة الأولون المسيحية مقاومة شديدة من ناحية عقلية . وقد تطور هذا النزاع في المدرسة الاعتزالية، فكان من تقاليدها أن تعرض لآراء مخالفى الإسلام ، وبخاصة المسيحية، فتعرض مذاهبهم بأمانة، ثم تناقشها واحداً واحداً ، وقد كشف لنا صدور كتاب المغنى ، للقاضي عبد الجبار

---

[29] أنجيليكي غريغوري زياكا: **الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة**، (مجلة "التسامح" العمانية، عدد 29، شتاء 2010)، ص 238.

[30] علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص93.

[31] أنجيليكي غريغوري زياكا: **الإسلام في كتابات العصر البيزنطي بين الحوار والمناظرة**، ص 240.

[32] علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص 80.

المعتزلى - عن مناقشات أبي على الجبائي الشيخ المعتزلى الأكبر للمسيحية، كما أن أهل السنة والشيعة كتبوا في ذلك كتابات كثيرة، وقد حاولت الكنيسة السوريانية أن تقيم علما للدفاع الديني، فزيفت رسالة والكندى المسيحي المزعوم في مناقشة العقائد الإسلامية ، وهى رسالة تهاجم الإسلام هجوماً عنيفاً . وقد نسبت هذه الرسالة ليحيى بن عدى ولغيره . ثم ترجمت إلى اللاتينية ، واستخدمها المبشرون المسيحيون وبخاصة الكاثوليك والبروتستانت ، فى مهاجمة الإسلام ، حتى عصورنا الحديثة[33].

أما في نطاق أهل السنة فقد ناقش الإمام ابن حزم في كتابه والفصل. المذاهب المسيحية، كما حاول أن يحقق الأناجيل الأربعة ويبين تمختلف تناقضاتها، وقد حدثت مناقشات عنيفة بين المسلمين والمسيحيين في الأندلس ، سواء بالعربية أو اللاتينية ، وناقش أيضا أبو بكر الباقلانى المسيحية نقاشاً شديدا،إضافة إلى إمام الحرمين الجويني وفعل الغزالي نفس الشيء وكتب في مناقشته المسيحية، ثم فى العصور المتأخرة ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية، وتتابعت المناقشات والمجادلات.[34]

يكاد يجمع المؤلفون الأوربيون على أن المتكلمين المسلمين أفادوا من هذا النزاع، إذ ساعدهم منهجياً على تكوين عقائدهم الكلامية، من ناحية الأخذ ببعض آراء المسيحيين واعتناقها ، وقد ذكر لنا أن بلاجيوس كان يتكلم في مسائل الجبر والاختيار في بيزنطة . أن البيزنطيين تعلموا هذا الكلام ثم انتقل إلى المسلمين . وفى موضع آخر يشبه الشهرستاني النساطرة بالمعتزلة ، فإنهم جميعاً حكموا العقل في الدين . وقد رأينا أيضاً أن الشهرستاني يشبه أحوال أبي هاشم بأقانيم النصارى . . ومع أننا لا نستطيع أن ننكر أن مجالات المسيحيين ومناقشتهم للمسلمين عامة قد عاونت على إنشاء علم الكلام ، فإننا نرى الخلاف الكبير بين الطائفتين[35].

لقد استفاد المسيحيون كثيرا من علم الكلام والفلسفة الإسلامية؛ فقد اهتم الرهبان بدراسة ابن رشد والاستفادة من مؤلفاته، ولعل أهم لاهوتيين شكل ابن رشد رافدا مهما في تأسيس فكرهم اللاهوتي، الراهب الدومينيكاني توما الاكويني والراهب الفرنسيسكاني روجر بيكون، رائد المدرسة التجريبية؛ وقد كانت كتب ابن رشد تترجم وتنشر في الجامعات بأمر من ملك المستنيرين فريدريك الثاني ملك صقلية وحامي العلم والأدب في زمانه (1194-1250)[36].

---

[33] المرجع نفسه، ص93.

[34] المرجع نفسه، ص93.

[35] علي سامي النشار: **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، ص 100.

[36] عباس محمود العقاد: **ابن رشد**، ط6، (القاهرة: دار المعارف)، ص49-50.

تأثير في الآخر نتيجة الجدل اللإسلامي المسيحي الذي سرّع وتيرة نمو كلا العلمين. ويمكن القول أن علم الكلام وعلم اللاهوت كان كلاهما مصدر

خاتمة :

يمكننا تلخيص أهم النتائج المتوصل إليها في النقاط التالية:

- كانت المباحث العقدية اليهودية المثارة في صدر الإسلام، إحدى عوامل نشأة بعض الفرق الكلامية، إلا أن المباحث العقدية التي تضمنتها كتب الهاجاده لم تعرف تطورا في أنساقها المعرفية إلا بعد أن تأثر المفكرون اليهود بعلم الكلام الإسلامي، مما ينفي احتمالية نشأة علم الكلام الإسلامي نتيجة استدعائه لمختلف المباحث العقدية الهاجادية ؛وهذا يناقض ما ادعاه

بعض المستشرقين، وعلى رأسهم غايغر وجولد تسيهر من كون النواة الأولى للعقائد الأسلامية هي المباحث الهاجادية.

- علم اللاهوت المسيحي، واكب ظهور المسيحية ونشأ نتيجة الاختلافات حول المسائل العقدية الأساسية كمسألة الكلمة والأقانيم والتثليث والتجسد وغيرها من المشكلات العقدية التي أسهمت في بعث وتطور علم اللاهوت، والذي استفاد بدوره كثيرا من الفلسفة اليونانية؛ وتكونت العديد من المدارس كان لها امتدادها في البيئة العربية وأسهمت في بعث حركة الجدل والمناظرة، حول المسائل العقدية، مما أسهم في نشأة علم الكلام الإسلامي، إضافة إلى عوامل أخرى.
- علم اللاهوت المسيحي في طرحه الفلسفي قاد المتكلمين إلى استخدام الفلسفة، فوجه علم الكلام إلى المسار اللاهوتي، بينما استطاع علم الكلام تهذيب النزعة الفلسفية في النسق الفكري اللاهوتي.
- مما لا شك أن نفي عملية التأثير والتأثر في نشأة علم الكلام سيقودنا بداهة إلى عزل المعرفة الإسلامية عن الأنساق المختلفة للمعرفة الإنسانية؛ ومن هذا المنطلق نقول أن علم الكلام رغم أصالة مباحثه، إلا أنه أُثري نتيجة الجدل الإسلامي اليهودي والمسيحي؛ إلى أن وصل لمرحلة النضج فأثرى بدوره علم الكلام اليهودي واللاهوت المسيحي؛ فكان المصدر الملهم لبعث الحركية الفكرية في إطارها العقدي.